

محي الدين حسين راهب فن الخزف

كتبت: سماح عبد السلام

المقدمة

محي الدين حسين هو راهب فن الخزف وأحد أهم رواده المعاصرين، ينتمي لأولئك الذين تخطوا بأعمالهم الخزفية حدود المعرفة والمهارة كما أشار الدكتور مصطفى الرزاز في مقدمته لأحد معارضه. يرفض الانتماء لاتجاه فني معين لإيمانه بأن ذلك يحد من حرية الفنان لا توافق أعماله مع سماته ومكوناته الشخصية التي تجمع بين الجدية والعطاء والطموح والخيال والخبرة فخرجت تحمل ملمحاً هاماً عنوانه الصدق والإبداع. تنوع إبداعه الفني على مستويات عدة، كما عكست اهتماماً كبيراً بالخزف الإسلامي والتراث.

مرحلة النشأة وتأثيرها في تكوينه

تلعب نشأة أي مبدع دوراً هاماً لما تتركه من أثر ينطلق على إبداعه لاحقاً، وبحكم طبيعة عمل والده كمهندس رى كان ينتقل من مديرية لآخرى، فألتحق "محي الدين حسين" بالروضة بمدرسة أمريكية كان بها اهتمام بالموسيقى والغناء والرسم. ومن ثم انشترك في الأنشطة الفنية بالمدرسة، ثم انتقل من بنها للقاهرة في مرحلة الثانوي ودخل مدرسة الإبراهيمية حيث النشاط الفني المرتفع. ثم قضى خمس سنوات مهمة في الجامعة وحدث الاحتكاك بالفن والأساتذة وقام بأنشطة خاصة به. بداية من تخصصه بالخزف الذي استمر لـ 0 سنوات. خلال دراسته الجامعية كان يشترك في مسابقة الصلانع بجمعية محبي الفنون الجميلة، ليحصل كل عام على جائزة بها. ثم تخرج عام ١٩٦١ بدرجة امتياز، بدأ اهتمامه بالحياة الثقافية بشكل عام.

اصغر فنان ينال منحة التفرغ

كان الفنان حامد سعيد احد المثقفين الذين قدموا مشروعاً لتفرغ الفنانين بعهد الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة آنذاك، تلك المرحلة التي مثلت مرحلة مزدهرة للثقافة المصرية، فحصل "محي الدين حسين" على منحة التفرغ بناء على أعماله بأحد المعارض و التي حازت على أعجاب حامد سعيد فقام بأعطائه منحة التفرغ ١٩٦٢ عام، ليكون أصغر فنان متفرغ. قدم خلال منحة التفرغ عدة أبحاث عكست مدى اهتمامه بالخزف الإسلامي والتراث. فقد تطورت خلفية التراث في أعماله سواء كانت مسطحات جدارية أو تماثيل نحتية وأواني بأشكال وأحجام متعددة خزفية. واستمرت منحة التفرغ لمدة ٧ سنوات.

تغير المسار من النحت للخزف

في البداية لم يكن "محي الدين حسين" يعرف فن الخزف، حيث عمل في المدرسة الثانوية في النحت والرسم. لم يكن بالمدارس أفران لحرق الخزف، في الثانوية قام بنحت تماثلاً لسيدة تحمل ورود للشهداء خلال دراسته بالمرحلة الثانوية بمدرسة الإبراهيمية الثانوية. وطوله ٣ متر، حيث كان حينها الكفاح ضد الاستعمار والشهداء والحرية. نحت وجه فتاة مصرية ترتدى طرحة وتحمل كرونة ورد للشهداء. لم يكن هناك مفر من دخوله للفنون بعد الانتهاء من دراسته الثانوية. وبالفعل التحق بمعهد الموسيقى ولكن الاهتمام الأكبر موجهاً للفنون ومن ثم اتجه للفنون التطبيقية.

لم يكن "محي الديم حسين" يعرف الخزف لأنه كان في ذلك الوقت ينحت تماثيلاً ولا يعرف سوى النحت والرسم. فقد نحت تماثيلين لوالديه. كما كان يمتلك ورشة بالمنزل يعمل بها. ورسم لوحات وقام ببيعها خلال فترة الدراسة الثانوية وكان نشاطه يرتفع في الاجازات. ولكن عندما التحق بكلية الفنون التطبيقية تحدد اتجاهه. وجد تشجيعاً من أسرته و التي كانت تتصف بميولها الفنية رغم كونه المتخصص الوحيد فيها. فوالداه كان يكتب الخط العربي. ويستمتع جيداً للموسيقى ونفيس الشئ لشقيقه وشقيقته التي تصنع لوحات الخيامية والتصوير. بعد التخرج عمل لمدة عام مع الفنان والمثال فتحت محمود أول فنان أقام مصنعاً لفن الخزف. ثم حصل على منحة تفرغ، واستقل وبدأ في عمل الأبحاث والتركيز في الخزف.

علاقته بهيكل وعمله بمؤسسة الأهرام

بدأت علاقة "محي الدين حسين" بالكاتب الكبير محمد حسنين هيكل عندما أستنجد به هو مجموعة من الفنانين الذين تم إلغاء منحة التفرغ الخاصة بهم، فوعدهم "هيكل" بحل الموضوع. ثم تلقى اتصالاً يطلبه لمقابلته. وبالفعل ذهب للقائه، فقال له هيكل بأنه يعرف شغله وقد أفتنى بعضاً منه. ثم أخبره بأنهم يؤسسون مبنى جديد للأهرام ويريدون منه جدارية. فلم يكن يريد أن يجعل هذه المؤسسة مجرد جريدة صحفية ولكن كمؤسسة فنية، وبالفعل أقام بكل طابق جداريه. ومن هنا توصلت علاقة "محي الدين وهيكل" بشكل قوي. بعدما ترك هيكل المؤسسة كتب "محي الدين" في الأهرام عن الفن التشكيلي. حيث كان يكتب مقالة أسبوعية في الأهرام الدول حتى خرج على المعاش.



رحلته مع المعارض

أول معرض له كان خلال العام الأخير بالدراسة بقاعة "اخاتون" بوسط البلد. وبعد التخرج كان يقدم معرضاً كل عام من أجل التجديد بمنحة التفرغ لمدة ٧ سنوات. أما اخر معرض فأقيم بمركز الجزيرة للفنون بالزمالك عام ٢٠١٣. مرحلة التفرغ كانت كلها كان بمثابة تجارب و أبحاث. قدم جداريات وتجارب للمسطح الجدارى الخزفى وفى سنة تالية عمل على البريق المعدنى، ثم النحت الخزفى. كما عمل على البريق المعدنى فى ثلاثة نماذج من خلال الأناء والتمثال واللوحة. وبعد انتهاء منحة التفرغ تطورت تقنية الشغل حيث لم يعد مشغولاً بأبحاث على موضوعات ولكنه تحرر أكثر وتبلورت خبرته و التى ظهرت فى أعماله الفنية.

أساتذته

تأثر "نحى الدين حسين" بالفنان حامد سعيد واستفاد من علمه بعد تخرجه من الجامعة رغم انه ليس خزافاً ولكنه فنان مثقف. رسام يرسم بالقلم الرصاص والفحم. علاقته به بدأت عندما طلب منه بحث عن الفخار الشعبى. وبالفعل قام بهذا البحث الذى نال إعجابه، كما تأثر بالفنان سعيد الصدر صاحب الوعى الجديد بالتراث الخزفى الإسلامى والشعبى، والذى أمتلك جماليات خاصة فى الأناء والبريق المعدنى، كانت أعماله محببه إليه. كان يذهب لمعارضه ويجمع الفنانين كى يشرح لهم هذه الأعمال.

حوار لا ينقطع مع الأعمال

يجرى محى الدين حسين حواراً مطولاً مع أعماله، فعندما يعمل الفنان فى مجال يحبه يكون هناك حوار الهى بين أعماله. أحيانا وبعد أن ينهى العمل ينظر له كمتفرج وكأن فنان أخر هو من قام بتنفيذه. فالفن به جزئية الهام غير محسوبة.

الاتجاه الفنى

لا يرتبط فناننا باتجاه فنى معين. ولا يؤمن بالتصنيفات الفنية لانها تقيد من حرية الفنان. أعماله ليست متشابهة. فليس من الفنانين الذين يعملون على تيمة واحدة. كل عمل بالنسبة له يعتبر جديدا وفى النهاية يربطهم خط واحد ولكنه غير مقصود.

صراعه مع المحافظين

واستمر محى الدين حسين فى التطور وفى اكتشاف ألواناً وتقنيات جديدة فى التشكيل والحرق، فضل يثري مشواره الفنى بأعمالاً جديدة طوال الوقت، فأبدع لوحات جداريه من الخزف، وقام بالحفر والنحت والتلوين على مواسير من الفخار، كما شكل منحوتات مجردة ضخمة من النحت الخزفى، وتمرد على الأشكال التقليدية للإناء.

وكان قد اتجه فى أوائل الثمانينات لعمل لوحات فنية بألوان الخزف المميزة بطبيعتها عن غيرها من الألوان. الأمر الذى لم يكن مستوعباً أو مستساعاً فى هذا الوقت من قبل المهتمين بالفنون لاسيما المحافظين منهم، حيث

كان المفهوم السائد عن الخزف فى هذه الفترة هو أنه خامة تستخدم لأغراض نفعية، وغاية استعمالها فنياً هو أنتاج أواني وأطباق وما شابه ذلك، لكن محيى الدين حسين أستمر فى مساعيه لتأصيل فن الخزف على اعتبار أنها خامة نبيلة شديدة التميز فى التشكيل، غير محدودة الإمكانيات، خاصة فى بلد نشأت فيه حرفة الخزف منذ آلاف السنين. فأقام الملتقى الدولى للفخار بقنا الذى جمع فيه شباب الخزافين المصريين بمعلمي الفخار بقنا، وأقام بينالي القاهرة الدولى للخزف الذى كان خطوة فارقة فى فتح آفاق للخزافين المصريين نحو رحابة فن الخزف، وخلق مجتمع جديد للخزافين يتبادلون فيه المعرفة والخبرات بالتواصل مع بعضهم البعض محلياً ودولياً.

تأسيس ملتقى الفخار وبيناك القاهرة الدولى للخزف

أسس محى الدين حسين فى نهاية التسعينات ملتقى الفخار الشعبى بمدينة قنا، الذى جمع فيه شباب الخزافين المصريين بمعلمي الفخار بقنا. حيث عملوا سوياً بخامات وتقنيات الحرق المتوارثة، ومن خلال هذا الملتقى أنتج مجموعة من الأواني الضخمة المصنوعة من طمي الأرض. كما قدم لوزير الثقافة السابق الفنان فاروق حسنى مشروعين لعمل سمبوزيوم و تريناك الخزف. ومن خلالهما نشر وعياً جديداً لمفهوم الخزف المعاصر. حيث جاءت الفكرة على أساس انه تريناك وافق عليه الوزير ورصد له ميزانية فدعى مجموعة من الأجانب، وخرج التريناك بمستوى عال. دعم الوزير المشروع ومنحه الصلاحيات وانقطعت صلته بالموضوع إلى أن دعاه لافتتاح الحدث الذى كان مفاجأة للجميع حيث نجحت التجربة وبناءً عليه قرر تحويله من تريناك إلى بيناك. وقدم ٧ دورات من البيناك، و فى ذلك الوقت شهد فن الخزف نهوضاً كبيراً. اوجد المكان وشهد المجال منافسة عالمية. أكثر من ٦٠ فنان يشاركون فى البيناك والذى رصد له خمس جوائز. شهد المجال أقبالاً حتى اقبل عليه غير المتخصصين وأيضاً بعض الفنانين الذين كانوا قد عزفوا عن مواصلة مشوارهم فى مضمير الخزف عادوا ليصلوا ما أنقطع بهممة ونشاط. وحدث نهضة حقيقية فى حركة الخزف. ولكن دائماً تأت الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد توقف البيناك بعد الدورة السابعة لعدم وجود ميزانية. أظهرت التجربة انه عندما كان هناك مجال للعرض المحترم اتجه إليه الفنانين غير المتخصصين وعندما تلاشى هذا الاهتمام عزفوا عنه.

واستمر الفنان فى التطور وفى اكتشاف ألواناً وتقنيات جديدة فى التشكيل والحرق، فضل يثري مشواره الفنى بأعمالاً جديدة طوال الوقت، فأبدع لوحات جدارية من الخزف، وقام بالحفر والنحت والتلوين على مواسير من الفخار، كما شكل منحوتات مجردة ضخمة من النحت الخزفى، وتمرد على الأشكال التقليدية للإناء.

ما زال محى الدين حسين يعمل وبشكل جدى على تطوير تجربته. كل عمل يمثل له تجربة جديدة، هو المؤمن والقائل دائماً: **يتوقف الفنان عن تطوير تجربته فهذا يعنى وفاته..**

